مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السادسة عشرة : العدد الرابع والستون ـ محرم ١٤٣٠ هـ ـ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٩م

مصحف عثماني، مطبوع بسنت بطرسبورغ،
حجري، سنة ١٩٠٠م

Ottoman Holy Quran, Copied in St Petersburg
Stone manuscript in 1900

حوادث الأجسام الغريبة Foreign bodies عند الأطباء العرب والمسلمين

د. محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال / الموصل - العراق

حوادث الأجسام الغريبة مألوفة لدى الأطفال منذ القديم وحتى الحاضر. وهي كثيرة ومتنوعة. تصيب الأطفال عادة، عندما يبلغ الطفل من العمر سنة أو سنتين. حيث يبدأ بترويض أصابعه وتمرينها، فيقبض على كل ما تقع عليه يده فيلقي به، وكثيرا ما يضعه أو يدفعه في أنفه أو أذنه وأحياناً في بلعومه أو الحنجرة وكثيراً ما يصدف أن يسقط هذا الجسم في القصبات الهوائية. والأجسام الغريبة متنوعة وتنوعها ناتج عن تنوع الأجسام التي تقع عليها يد الطفل من حبة فاصولياء أو حمص أو حبة رقي أو خرزة أو قطعة إسفنج أو حجر أو لعبة صغيرة أو جزء منها أو دبوس ... إلخ.

وقد نال هذا الموضوع الاهتمام من الأطباء العرب والمسلمين. ولم يقتصر اهتمامهم بما يتناوله الأطفال وانما تناولوا حوادث الأجسام الغريبة في الكبار والصغار. نذكر فيما يلي ما جاء عندهم حول هذا الموضوع ضمن الفقرات التالية :

أولا - الأجسام الغريبة في الأذن:

ما ننصح به اليوم في حالة دخول جسم غريب في الأذن هو التوجه إلى الأخصائي وإجراء الاستخراج بواسطة آلات دقيقة ومختلفة الأشكال حسب شكل الجسم ونوعه. ونادراً ما يكون الجسم مستعصياً مما يضطر الأخصائي إلى إجراء تداخل جراحي.

هذه الأفكار لم تكن غائبة عن الأطباء العرب والمسلمين. بل كانوا ممارسين لها ولكن بواسطة آلات متواضعة على سبيل المثال نذكر أقوال الزهراوي في ذلك حيث يقول في فصل ((ما يسقط في الأذن)): ((جميع ما يسقط في الأذن أحد أربعة أنواع إما حجر معدني أو شبه الحجر كالحديد والزجاج وإما حب نباتي كالحمص والنواة ونحو ذلك وإما شيء

سيال مثل الماء والخل ونحوه، وإما الحيوان، فمتى سقط في الأذن حصاة أو جنس الحصاة مما لا يربو في الأذن فاستقبل بالأذن الشمس فإن رأيت الحصاة فقطر فيها شيئاً من دهن بنفسج أو السيرج ثم حاول إخراجها بحركة الرأس أو التعطيس بالكندس وسد المنخرين عند مجيء العطاس بعد أن تضع حول الأذن طوقاً من خرق أو صوف وتمد الأذن إلى فوق. فكثيراً ما تخرج بهذا العلاج. فإن لم تخرج وإلاّ فحاول إخراجها بالجفت اللطيف، فإن خرجت بالجفت وإلاّ فحاول إخراجها بصنارة عمياء لطيفة قليلة الانثناء فإن لم تخرج بذلك وإلاّ فاصنع أنبوبة من نحاس وأدخل طرف الأنبوبة في ثقب الأذن نعمّا وسد ما حوالي الأنبوبة بالقير الملين بالدهن لئلا يكون للريح طريق غير الأنبوبة، ثم اجذبها بريحك جذباً قوياً وكثيراً ما تخرج بما وصفنا وإلاّ فخذ من علك الأنباط أو من العلك المدبر الذي يؤخذ به الطير شيئاً يسيراً فضعه في طرف المرود بعد أن تلف عليه قطنة محكمة ثم أدخله في ثقب الأذن برفق بعد أن تنشف الأذن من الرطوبة. فإن لم تخرج بجميع ما وصفنا فبادر إلى الشق قبل أن يحدث الورم الحار أو تشنج. وصفة الشق أن تفصد العليل في القيفال أولاً. وتخرج له من الدم على قدر قوته ثم تجلس العليل بين يديك وتقلب أذنه إلى فوق. وتشق شقاً صغيراً في أصل الأذن عند شحمته في الموضع المنخفض منها ويكون الشق هلالي الشكل حتى تصل إلى الحصاة ثم تنزعها بما أمكنك من الآلات ثم تخيط الشق من حينك بسرعة وتعالجه حتى يبرأ.

وأما إن كان الشيء الساقط في الأذن من أحد الحبوب التي تربو وتنتفخ فحاول إخراجه بما ذكرنا فإن لم يجبك إلى الخروج وإلاّ فخذ مبضعاً رقيقاً لطيفاً وحاول به قطع ذلك النوع من الحبوب الساقطة في الأذن وإنما تفعل ذلك إذا تيقنت أن تلك الحبة قد ترطبت ببخار الأذن حتى تصيرها قطعاً صغاراً كثيرة ثم تخرجها بالصنارة العمياء أو بجفت لطيف أو بالمص كما ذكرنا فإنه يسهل إخراجها))[1].

وهكذا نجد الزهراوي يحاول جاهداً إخراج الجسم الغريب بطرق وآلات مختلفة وفي حالة عجز الآلات عن إخراجها يلجأ إلى التداخل الجراحي.

وعن دخول الحيوانات في الأذن يقول الرازي ((وينفع من دخول الهوام في الأذن أن يحل الصبر في الماء ويملأ منه الأذن. أويقطر فيها عصارة الأفسنتين أو عصارة ورق الخوخ أو ماء النرجس...))[2].

وعن توالد الدود فيها، فيقول ابن سينا: ((قد يفطن لدخول الهامة في الأذن بشدة الوجع مع خدش وحركة بمقدار الحيوان وأما الدود فيحس معه بدغدغة. (المعالجات) مما يعم جميع ذلك تقطير القطران في الأذن فإنه يسكن في الحال حركة الحيوان فيها ويقتلها عن قريب وخصوصاً الصغير وكذلك تقطير عصارة قثاء الحمار وحدها أو مع السقمونيا))[3].

ثانيا - الأجسام الغريبة التي تدخل البلعوم:

يقول الزهراوي في فصل ((إخراج الشوك وما ينشب في الحلق)): كثيراً ما ينشب في الحلق عظم أو شوك سمك أو غير ذلك فينبغي أن تخرج منها ما كان ظاهراً يقع عليه البصر بعد أن تكبس اللسان بالآلة عند الشمس ليتبين لك ما في الحلق. وما لم يظهر لك وتوارى في الحلق فينبغي أن تمتحن العليل قبل أن ينهضم طعامه في معدته فربما خرج الشيء الناشب بالقيء أو يتبلع العليل قطعة لفت أو أصل خسة أو يتبلع لقمة من خبز يابس أو تأخذ قطعة من

الإسفنج البحري اللين فتربطها في خيط ثم يتبلعها فإذا وصلت إلى موضع الشوكة جذب الخيط بسرعة. تفعل ذلك مرات. فكثيراً ما تلتصق الشوكة أو العظم فيها وتخرج. فإن لم تخرج بما ذكرنا وإلاّ فاستعمل آلة من رصاص تكون أغلظ من المرود قليلاً وفي طرفها تعقيف يدخلها العليل في حلقه برفق وهو رافع رأسه إلى فوق ويتحفظ من مس حنجرته لئلا يحدث به سعال ويدفع به العظم أو الشوكة. أو يدخلها الطبيب بيده. وإدخال العليل لها أحسن لعلمه بموضع الشيء الناشب ويدفع إلى أسفل أو يجذب يده بالآلة إلى فوق كل ذلك على قدر ما يتهيأ له حتى يخرج))[13].

ويقول ابن هبل في ذلك: ((ما كان قريباً يدركه الحس فيؤخذ بالآلة الناقشة للشوك فإن كان أبعد أمكن دفعه إلى أسفل بابتلاع اللقم الكبار وشرب الماء عليها فهو أوفق وإلاّ يدفع بقضيب خيزران أو بوتر يطوى فإن كان الواقف في الحلق لقمة عظيمة فاضرب على العنق مرات متوالية فالضرب مما يحطها. وأما العظام وغيرها مما له شظايا فلا يجوز أن يفعل فيه ذلك بل يؤخذ قطعة من لحم ويشد بخيط ويمضغ ويبلع قليلاً حتى يجاوز الموضع الذي فيه الناشب ثم يجذب الخيط فإنه يخرج أو يفعل كذلك بتبنة علكة تشد وتمضغ يسيراً وتبلع والقذف بعد التملئ من الطعام يخرج الناشب في الحلق))[14].

وعن إخراج العلق الناشب في الحلق يقول الزهراوي: ((إذا عالجت العلقة بما ذكرنا في التقسيم من العلاج بالأدوية ولم ينجع فانظر حينئذ في حلق العليل عند الشمس بعد أن تكبس لسانه بالآلة التي وصفت لك. فإن وقع بصرك على العلقة فاجذبها بصنارة صغيرة أو بجفت لطيف محكم فإن لم تتمكن بها وإلاّ فخذ أنبوبة مجوفة فأدخلها في حلق العليل إلى قرب العلقة ثم أدخل في جوف الأنبوبة حديدة محمية بالنار تفعل ذلك مرات ويصبر العليل عن الماء يومه كله. ثم يأخذ إجانة مملوء ماءً بارداً ويفتح فمه فيه ويتمضمض به ولا يبلع منه نقطة ويحرك الماء حيناً بعد حين بيده فإن العلقة تسقط على المقام إذا أحست بالماء. فإن لم تخرج بما وصفنا فتبخر الحلق بالبول وبالحلتيت بالآلة التي وصفت في بخور اللهاة تفعل ذلك مرات فإنها تسقط. ووجه العمل في البخور أن تأخذ قدراً فيها جمر حمي بالنار والقدر مغطية بغطاء في وسطه ثقبة فتركب في تلك الثقبة طرف الآلة ثم تلقي البخور ويضع العليل فمه في طرف الأنبوبة ويغلق فمه لئلا يخرج البخور حتى يعلم أن البخور قد وصل إلى حلقه فإن العلقة تسقط على المقام. فإن لم تسقط وإلاّ فيعاد البخور مرات ويصبر العليل للعطش ويأكل المالح والثوم ولا يشرب ماء فلابد أن تخرج بهذا التدبير))[15].

ويقول ابن هبل: ((العلاج. أما القريبة التي يمكن أخذها فيجلس العليل بحذاء الشمس ويغمز لسانه بملعقة الميل ويدخل القالب الذي تنزع به البواسير ويقبض به على أصل عنقها بالتمكن لئلا ينقطع ثم يجذبها ويخرجها. أو تؤخذ بالكلبتين. وأما إذا كانت أبعد من ذلك فيجرع العليل الخل ويطعم الذباب الذي يوجد في الباقلاء أو يطعم الثوم ويغرغر بالخل والخردل مرات أو يتغرغر بماء البصل أو بالخل والحلتيت وللغرغرة بعصير ورق الغرب خاصية في إخراج العلق))[16].

ثالثا - الشوك والسلي والزجاج :

يقول الرازي في دخول الشوك والسلي والزجاج: ((وأما الشوك والسلي والزجاج وغير ذلك مما ينشب في البدن. فإنه يحتاج أن يضمد بأشياء مرخية. فإن الموضع إذا استرخى اندفع ذلك الناشب إليه. وبعض

الناس يسمي هذه الأدوية الجاذبة. ومما يفعل ذلك الأشق إذا عجن بعسل وضمد به الموضع. أو بصل النرجس يدق مع عسل ويضمد به. أو أصول القصب تدق مع العسل. وتجمع كلها. فإن فعلها حينئذ يكون أقوى))[٨].

رابعا: إخراج السهام :

يقول الزهراوي في ذلك ((إن السهام إنما تخرج من الأعضاء التي نشبت فيها على نوعين إما بالجذب من الموضع الذي دخلت منه وإما من ضد الجهة الأخرى، والتي تخرج من حيث دخلت إما أن يكون السهم بارزاً في موضع لحمي فيجذب ويخرج فإن لم يجبك للخروج من وقته الذي وقع فيه فينبغي لك أن تتركه أياماً حتى يتعفن اللحم الذي حوله فيسهل جذبه واخراجه. وكذلك إن نشب في عظم ولم يجبك للخروج فاتركه أيضاً أياماً وعاوده بالجذب والتحريك كل يوم فإنه يخرج، فإن لم يجبك للخروج بعد أيام فينبغي أن تثقب حول السهم في نفس العظم من كل جهة بمثقب لطيف حتى توسع للسهم ثم تجذبه وتخرجه، فإن كان السهم الناشب في عظم الرأس وقد أمعن في أحد بطون الدماغ وظهرت من العليل بعض تلك الأعراض التي ذكرت لك فأمسك عن جذب السهم واتركه حتى يستبرئ أمره بعد أيام فإنه إن كان السهم قد وصل إلى الصفاق فإن المنية لا تمطله. وإن كان السهم إنما هو ناشب في جرم العظم فقط ولم يتعد إلى الصفاق وبقي العليل أياماً ولم يحدث له من تلك الأعراض شيء فاحتل في جذب السهم واخراجه. فإن كان ناشباً جداً ولم يجبك للجذب فاستعمل المثاقب حول السهم كما وصفت لك ثم عالج الموضع حتى يبرأ، وأما إن كان السهم قد توارى في موضع من الجسم وغاب عن الحس فتشه بالمسبار فإن أحسست به فاجذبه ببعض الآلات التي تصلح لجذبه فإن لم تستطع عليه لضيق الجرح ولبعد السهم في الغور ولم يكن في الغور ولم يكن هناك عظم ولا عصب ولا عرق فشق عليه حتى توسع الجرح وتتمكن بالسهم حتى تخرجه. فإن كان له أذنان تمسك بهما فخلص اللحم الناشب فيهما من كل جهة بكل حيلة يمكنك ذلك واحتل إن لم تقدر على تخليص اللحم في كسر الأذنين وفتلهما حتى تتخلص.

وإذا حاولت إخراج السهم في أي موضع كان فاستعمل فتل يدك بالكلاليب إلى الجهات كلها حتى تخلصه وارفق غاية الرفق لئلا ينكسر فاتركه أياماً حتى تعفن تلك اللحوم التي حواليه ثم تعاوده فإنه يسهل حينئذ فإن اعترضك نزف دم فاستعمل ما ذكرنا من العلاج في بابه، وتحفظ جهدك من قطع عرق أو عصب أو وتر واستعمل الحيلة بكل وجه يمكنك تخليص السهم وليكن ذلك برفق وتأن وتثبت كما وصفت لك. وينبغي لك أن تستعمل عند جذبك السهم فهو أوفق فإن لم يمكنك ذلك فاستعمل ما يمكنك من الأشكال.

وأما السهم الذي يخرج من ضد الجهة الأخرى إما أن يكون قد برز منه شيء إلى خارج وإما أن تجد طرف السهم بالحس من أعلى الجلد قريباً وتراه فشق عليه وليكن الشق على قدر ما تسع فيه الكلاليب ثم اجذبه فإنه يسهل للخروج. فإن امتسك في عظم فافتل يدك على استدارة حتى يؤثر السهم في العظم ويوسع لنفسه ثم اجذبه وإلاّ فاتركه أياماً ثم عاوده حتى يخرج، فإن كان قد سقط العود وأردت استعمال الدفع فأدخل إليه الآلة المجوفة لتدخل تجويفها في ذنب السهم ثم تدفعه بها، فإن كان السهم مجوفاً فادفعه بآلة تدخل في ذلك التجويف فإن السهم يسهل بذلك خروجه.

فإن كان السهم مسموماً فينبغي أن تثور اللحم الذي قد صار فيه السم كله إن أمكنك ذلك ثم عالجه بما يصلح لذلك.

فإن كان السهم الواقع في الصدر أو في البطن أو في المثانة أو في الجنب وكان قريباً مما يجسه بالمسبار وأمكنك الشق عليه فشق وتحفظ من قطع عرق أو عصب وأخرجه ثم خط الجرح إن احتاج إلى الخياطة ثم عالجه حتى يبرأ.

تكون أطرافها شبه خرطوم الطائر قد صنعت كأنها المبرد إذا قبضت على السهم أو شيء لم تتركه. وقد تصنع منها أنواع كبار وصغار ومتوسطة كل ذلك على قدر عظم السهم وصغره وسعة الجرح وضيقه)) [١٠١].

ويذكر الزهراوي حالات نادرة كثيرة لمصابين بالسهام وكيف تعامل مع تلك الحالات وعالجها لايتسع المجال لذكرها جميعاً نذكر منها بعض الحالات على سبيل المثال حيث يقول ((وأنا أخبرك ببعض ما شاهدته من أمر هذه السهام لتستدل بذلك على علاجك. وذلك أن سهماً كان قد واقع لرجل في مأق عينه في أصل الأنف أخرجته له من الجهة الأخرى تحت شحمة الأذن وبرئ ولم يحدث في عينه مكروه. وأخرجت سهماً آخر ليهودي كان قد واقعه في شحمة عينه تحت الجفن الأسفل وكان السهم قد توارى ولم ألحق منه إلا طرفه الصغير الذي يلصق في الخشبة وكان سهماً كبيراً من سهام القسي المركبة مربع الحديد أملس لم يكن فيه أذنان فبرئ اليهودي ولم يحدث في عينه حادث سوء. وأخرجت سهماً آخر من حلق نصراني وكان السهم عربياً وهو الذي له أذنان فشققت عليه بين الوداجين وكان قد غار في حلقه فلطفت به حتى أخرجته فسلم النصراني وبرئ. وأخرجت سهماً لرجل كان قد واقعه في بطنه وقدّرنا أنه سيموت منه فلما بقي مدة ثلاثين يوماً أو نحوها ولم يتغير عليه شيء من أحواله شققت على السهم وتحيلت عليه وأخرجته وبرئ ولم يعرض له حادث سوء)) [١٠١]

المصادر

١ - الزهراوي، أبو القاسم خلف بن العباس: التصريف لمن عجز عن التأليف - ص ١٩١ - ١٩٥.

ALBUCASIS On Surgery and Instruments

A D EFINITIVE EDITION OF THE ARABIC TEXT

WITH ENGLISH TRANSLATION AND COMMENTARY

BY: M.S.SPINK AND G.L.LEWIS

LONDN . THE WELLCOME INSTITUTE OF THE HISTORY OF MEDICINE - 1973

٢ - الراري، أبو بكر محمد بن زكريا: من لا يحضره الطبيب. تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. الطبعة الأولى ١٩٩١. ص ٧٤.

٣ - ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي: القانون في الطب - طبعة بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد. ص ١٥٩.

٤ - الزهراوي: التصريف. ص ١١٣ - ١١٥.

٥ - البغدادي، مهذب الدين ابن دبل: المختارات في الطب - الطبعة الأولى ١٣٦٣ هـ. الجزء ٢، ص ١٩١.

٦ - الزهراوي: التصريف - المصدر السابق. ص ٣١٧ - ٣١٩.

٧ - البغدادي: المختارات - المصدر السابق. ص ١٩١.

٨ - الرازي، أبو بكر محمد زكريا: المنصوري في الطب - شرح وتحقيق الدكتور حازم البكري. منشورات معهد المخطوطات العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. الطبعة الأولى ١٩٨٧. الكويت. ص ٣٣٤.

٩ - الزهراوي: التصريف - المصدر السابق. ص ٦١٦-٦١٧.

١٠ - المصدر نفسه ص ٦١٣.